



في رحاب التوراة

Jonathan Sacks
THE RABBI SACKS LEGACY

دراسات وحوارات روحانية معمقة في النصوص التوراتية الأسبوعية مع
الحاخام جوناثان سакс

نقدم إلى عائلة شيل بجزيل الشكر والعرفان على دعمهم السخي لكتاب "في رحاب التوراة" (Covenant and Conversation)، وهندي هذا الكتاب الذي الحاخام الراحل هاري (حالم) شيل طبّبه الله ذكره.

"لقد عشقت تعاليم التوراة التي قدمها الحاخام حايم شيل منذ اللحظة الأولى لاظافري عليها، خاصة وأنه عمل جاهداً على أن لا تطرأ تعاليمه للحقائق السطحية فقط، بل تتحقق في علاقتها بالحقائق الموجودة وراءها، وبوفقة زوجته آنا، تلك المرأة الاستثنائية ذات الستين ربيعاً، فقد أنسس الحاخام حايم حيّاً مُكرسة لحبّ العائلة والمجتمع والتوراة، فكانا زوجين مميتين ومثلاً يُعتدّ به بكل ما تحمله الكلمة من معنى، الأمر الذي كان له عمق الأثر على..." - الحاخام جوناثان سакс

With thanks to the Schimmel Family for their generous sponsorship of Covenant & Conversation, dedicated in loving memory of Harry (Chaim) Schimmel.

"I have loved the Torah of R' Chaim Schimmel ever since I first encountered it. It strives to be not just about truth on the surface but also its connection to a deeper truth beneath. Together with Anna, his remarkable wife of 60 years, they built a life dedicated to love of family, community, and Torah.

An extraordinary couple who have moved me beyond measure by the example of their lives." — Rabbi Sacks

"كي تَفْوِي" هو النصّ الأسبوعي السابع من كتاب "دُفَارِيم" (أي سفر التثنية) ويبدأ هذا النصّ الأسبوعي بالآية الأولى من المقطع السادس والعشرين وينتهي بالآية الثامنة من المقطع التاسع والعشرين.

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*

الذاكرة هي الهوية

إن أحد الأسباب التي جعلت الدين يظل موجوداً وقائماً في العالم الحديث بالرغم من مرور أربعة قرونٍ من العلمانية هو أنه يُجيب على ثلاثة أسئلة يطرحها كل إنسانٍ يتفكّر جيداً في حياته: من أنا؟ ولماذا أنا موجودٌ هنا؟ وكيف يمكنني أن أعيش؟

في الوقت نفسه فإن المنظومات الأربع المتمثلة في العلم والتكنولوجيا واقتصاد السوق والدولة الديمocratية الليبرالية والتي يقوم عليها العالم الغربي المعاصر عاجزةٌ عن الإجابة عن هذه الأسئلة. فالعلم يُبيّن لنا الكيفية، لكنه لا يُبيّن لنا لماذا. والتكنولوجيا تمنّحنا القوة، لكنها لا تُبيّن لنا كيف نستخدمها. والسوق يَمنّحنا خيارات عديدة، لكنه لا يُبيّن لنا ماذا نختار. أما الدولة الديمocratية الليبرالية فإنها تلتزم بمبدأ الامتناع عن تزكية أي أسلوب حياة على غيره. والمُحصلة النهائية هي أن الثقافة المعاصرة أصبحت تضع أمامنا عدداً لا يُحصى من الاحتمالات والخيارات، دون أن تُبيّن لنا من نحن ولماذا نحن موجودون هنا وكيف يجب علينا أن نعيش.

إنها أسئلة جوهرية في الحياة، لهذا كان أول سؤال طرحةنبي الله ورسوله موسى/موسي عندما قابل الله عزّ وجلّ في معجزة العلية المُشتَعة هو: "من أنا؟". والسياق الظاهر لهذه الآية يوحى بأنه سؤالٌ بلا غيّ يتضمن هذا المعنى: من أنا لأقوم بهذه المهمة الاستثنائية وأقود الشعب إلى الحرية؟ لكن في باطن ذلك نجد سؤالاً حقيقياً يتعلق بالهوية، فموسعيهنشأ وترعرع على يد الأميرة المصرية ابنة فرعون. وعندما قام موسى بإيقاذ بناتٍ يتّروا / رعنائيل (يترعون) من رعاه مدين، عادت البنات إلى أبيهن وأخبرنـه بأنّ "رجلاً مصرـياً أنقذـنا"، وبالتالي كان موسـيه يـبدو ويـتحـدـث كـرـجـلـ مصرـيـ.

ولاحقاً تزوج موسـيه من زوجـته تـسيـپورـاهـ/ـصـفـورـةـ إـحدـىـ بـنـاتـ يـتـرـواـ، فـأـمـضـىـ عـقـودـاـ وـهـوـ يـرـعـيـ الغـنمـ كـرـاعـ مـدـيـنـيـ.ـ والـتـسـلـسـلـ الرـزـنـيـ لـيـسـ وـاضـيـغاـ تـامـاـ،ـ لـكـنـهـ يـبـيـنـ لـنـاـ إـلـىـ حـدـ ماـ بـأـنـهـ كـانـ شـابـاـ يـاـفـعاـ عـنـدـمـاـ ذـهـبـ إـلـىـ أـرـضـ مـدـيـنـ،ـ وـبـأـنـ عـمـرـهـ كـانـ ثـمـانـينـ عـامـاـ عـنـدـمـاـ بـدـأـ بـقـيـادـةـ بـنـيـ يـسـرـائـيلـ،ـ وـبـأـنـهـ أـمـضـىـ غـالـبـيـةـ سـنـوـاتـ بـلـوـغـهـ بـرـفـقـةـ حـمـاـهـ المـدـيـنـيـ وـهـوـ يـعـتـنـيـ بـغـنـمـهـ.ـ بـالـتـالـيـ عـنـدـمـاـ سـأـلـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ قـائـلاـ:ـ "ـمـنـ أـنـاـ؟ـ"ـ (ـتـبعـاـ لـلـآـيـةـ الـحـادـيـةـ عـشـرـةـ مـنـ الـمـقـطـعـ الـثـالـثـ مـنـ سـفـرـ الـخـرـوجـ)ـ إـنـاـ فـيـ باـطـنـ هـذـاـ السـؤـالـ كـانـ يـوـجـدـ سـؤـالـ آـخـرـ:ـ هـلـ أـنـاـ مـصـرـيـ؟ـ أـمـ مـدـيـنـيـ؟ـ أـمـ يـهـوـدـيـ؟ـ

لقد كان موسى مصرى التربة، وبالنسبة لخبرته وتجربته في الحياة فقد كانت مدينية، لكن القرار الحاسم بخصوص هويته كان يتعلّق بأصله وهوية آبائه وأجداده، فهو ينحدر من نسل أفرهيم/إبراهيم، وهو ابن عمراًن/عمران ويوحيفيد/يوكابد. وعندما وجه السؤال الثاني لله عز وجل "من أنت؟" أجابه الله قائلاً: "أكون ما أكون" (تعيناً لما تذكره الآية الرابعة عشرة من نفس المقطع ونفس السفر). ثم أسهب بإجابة ثانية تذكرها الآية الخامسة عشرة والتي جاء فيها:

"كذا قُل لبني يسرائيل، الله إله آبائكم، إله أفرهاب، إله يتتسحق وإله يعقوف بعثني إليكم، هذا اسمي إلى الدهر، وهذا ذكرى لأجيال وأجيال".

وفي هذا الموضع أيضاً يوجد أمراً أحدهما ظاهر والآخر مبطن، فالمعنى الظاهر للآيات يوحي بأن الله عزّ وجلّ يخبر موسيه بما عليه أن يقول لبني إسرائيل عندما يتساءلون قائلين: "من بعثك إلينا؟"، لكن المعنى المبطن في هذا المستوى التوراتي يُخبرنا بطبيعة و Maheriyah الهوية. فالإجابة عن سؤال "من أنا؟" لا تتعلق بمسقط الرأس ولا بالمكان الذي أمضينا فيه طفولتنا ولا بالدولة التي نعتبر مواطنين فيها. كما أن الإجابة على هذا السؤال لا تستند إلى عملنا ومهنتنا ولا حتى إلى اهتماماتنا وموiolatna، فهذه الأمور جميعها تتعلق بـ "أين أنا" و "ما أنا" لكنها لا تتعلق بـ "من أنا".

ومن هذا المُنطلق فإن إجابة الله عز وجل - إلهك وإله آبائك وأجدادك - تُبيّن طرحاً جوهرياً للغاية، فأولاً وقبل كل شيء آخر نجد أن الهوية تنتقل بالوراثة، أي من خلال الأصل والآباء والأجداد. إنها مسألة تتعلق بهوية الوالدين وآباء الوالدين وبقية الأُسلاف. في المقابل، فإن هذا الطرح لا ينطبق على جميع الحالات، فهناك أبناء بالتبني وهناك أبناء ينفصلون كلياً وبمحض إرادتهم عن والديهم، لكن يمكننا القول بأن الهوية تكمن في الحكاية المستترة للآباء والأجداد بالنسبة لغالبية البشر. وإذا أخذنا بعين الاعتبار حالة التناقل عبر مختلف الحقب والأزمان التي عاشها اليهود، فإننا سنجد أن حكاياتهم كانت دوماً حكاية ترحال وجحود وثبات دائم ومعاناة وفرار من المعاناة.

أما المسألة الثانية فهي تكمن في أن الأصل نفسه يخبرنا عن حكاية معينة. إذ أن الله عز وجل بعد أن طلب من موسىه أن يقول لبني إسرائيل بأنه (أي الله) هو إله أفراد ويتحقق ويعقوف، نجد يتبع كلامه لموسيه قائلاً:

"امض واجمع شيوخ بني يسرائيل، وقل لهم، الله إله آبائكم تجلّى لي، إله أفرهام ويتسحق ويعقوب قائلاً: قد ذكرتكم وما صنعت بكم في مصر. فقلتُ أصعدكم من عذاب المصريين إلى موضع الكنعانيين والحيثيين والأموريين والفريزيين والحوئين واليبوسيين، إلى بلدٍ في الأرض لبنيٍّ وعسلًا" (بحسب ما تذكره الآيات 16-17 من نفس المقطع ونفس السفر).

بال التالي لم يكن الأمر يقتصر على أن الله عز وجل هو إله آبائهم وأجدادهم، بل هو إله الذي وعدهم بوعده مُحدد: بأن يُخرجهم من العبودية إلى الحرية، من الشّتات إلى أرض الميعاد. لهذا كان بنو إسرائيل جزءاً من حكاية متواصلة ومستمرة عبر الزمن، لقد كانوا خزناً من حكاية لم تنته بعد، والله عز وجل، على، وشككتابة الفصل، القادم من فصولها.

أضاف إلى هذا كله أن الله عندما أخبر موسى بأنه إله آباء بنى إسرائيل، فقد أضاف "هذا اسمى إلى الدهر، وهوذا ذكرى (آخر) لأجيال وأجيال". وبالتالي وضّح الله لموسى بأنه يتّخذه حدود الزمن (هذا اسمى إلى الدهر)، لكن عندما يتعلّق الأمر بالإدراك البشري فإن الله عز وجل يتواجه في خضم الزمن (لأجيال وأجيال)، وأسلوب الله للقيام بهذا يتمثّل في الحفاظ على الذاكرة وتمريرها من جيل لآخر (وهوذا ذكري). لهذا فإن الهوية ليست مسألة تتعلّق بمن يكون الوالدان، بل تتعلّق بما يتذكّرنه وبالذاكرة التي مرّراها إلى. وإن الهوية الفردية تتّشكّل عبر الذاكرة الفردية، لكن الهوية الجماعية تتّشكّل عبر الذاكرة الجماعية.¹

لقد كان هذا تمهيداً للحديث عن تشريع ديني بارزٍ تنصّ عليه آياتُ هذا النصّ الأسبوعي من نصوص التوراة والذِّي يحمل عنوان "كَيْ تَفَوَّأُ". إنه تشريعٌ ينصُّ على ضرورة أنْ تُقْدَمْ بواكير الشمارِ كقربانٍ إلى "المقام الذي يختاره الله"، وهو أورشليم القدس. حيثُ كانت تُقْدَمْ إلى كبير الكهنة، ثُمَّ يقومُ بجلبِها وهو يتلو ما وردَ في الآيات 5-10 في المقطع السادس والعشرين من سفر التثنية:

كان أي آرامياً رحالة، فنزل إلى مصر، وسكن هناك برهٰطٍ قليل، وصار هناك أمة كبيرة عظيمة كثيرة. فأساء لنا المصريون وعدبونا، وجعلوا علينا خدمة صعبة. فصرخنا إلى الله إله آبائنا، وسمع صوتنا، ونظر لصاعفنا وشققنا وضغطنا. وأخرجنا الله من مصر بيد شديدة وذراع ممدودة وتخوف عظيم وأيات وبراهمين. فجاء بنا إلى هذا الموضع وأعطانا هذا البلد، بلداً يفيض اللبن والعسل. والآن هوذا جئت بوسائل ثمر الأرض التي رزقتني، إياها يا رب. ثم ضعفه بين يدي الله ربّك، واسْجُدْ بين يدي الله ربّك.

لقد تعرفنا على هذا الدعاء لأنه - على الأقل منذ زمن الهيكل الثاني - كان موجوداً في صميم قصبة الْهَجَدَادِ التي تُتلى حول مائدة الطعام أثناء السيدر (السيدر هي سلسلة الطقوس والأدعية والصلوات التي تُتلى ليلة عيد الفِصْح اليهودي أثناء تناول وجبة الطعام الخاصة بهذه المناسبة). فلنلاحظ هنا بأنّها كانت تُتلى أصلاً على بواكير الشمار التي لا تكون عادة في عيد الْبَيْسَح (عيد الفِصْح) بل كانت في العادة تُتلى في عيد الشفوعوت (عيد الأسباب) الذي يترافق مع موسم حصاد وقطف الشمار.

وما كان مميّزاً حقاً في هذا التشريع هو الفكرة التالية: من البديهي أن نتحدث عن الله عزّ وجلّ كإله للطبيعة حينما نحتفل بالأرض وما تُنتجه من ثمار، لكن هذا النص لا يتعلّق أبداً بالطبيعة، إنه يتعلّق بالتاريخ. إنه يتطرق لرجل من سلفٍ بعيد (آرامياً رحّالاً)، وبالتالي فإنّ الحكاية تتحدث عن أسلافنا وأبائنا وأجدادنا. إنها حكاية تُفسّر لنا لماذا نحن موجودون هنا، ولماذا القوم الذين أنتمي إليهم بهذه الماهية ولماذا هم موجودون في هذا المكان بالذات. في الحقيقة لم يكن هناك أمرٌ مماثل لهذا في العالم القديم، ولا في عالمنا الحالي. وفي هذا السياق يوضح المؤرخ يوسف حاييم يروشلمي في كتابه الكلاسيكي القديم "رَخُور"² (معنى تذكّر) بأن اليهود كانوا أول قوم رأوا الله عزّ وجلّ عبر التاريخ، وأول قوم استطاعوا رؤية معنى مطلقٍ عبر التاريخ، وأول من جعلوا من الذاكرة فريضةً دينية.

ولهذا نجد أن الهوية اليهودية أثبتت أنها واحدة من أعنده وأصلب الهويات التي عرفتها البشرية: فهي الهوية الوحيدة التي ظلت مستمرة دون انقطاع بالرغم من أن حامليها كانوا أقلية مُفرقةً في شقي بقاع العالم لحوالي ألف سنة. إنها الهوية التي قادت اليهود بنهاية المطاف للعودة إلى وطنهم وبناء دولة يسرائيل، وإحياء اللغة العربية لغة كتابتهم المقدس (التناخ)* مجدداً بعد فجوة استمرت لقرون لم تكن تُستخدم فيها هذه اللغة سوى في الصلوات والشعر. وإن ذاكرتنا هي هويتنا، وتشریخُ بواكير الشمار هو بمثابة تأكيد على أن اليهود لن ينسوا هويتهم أبداً.

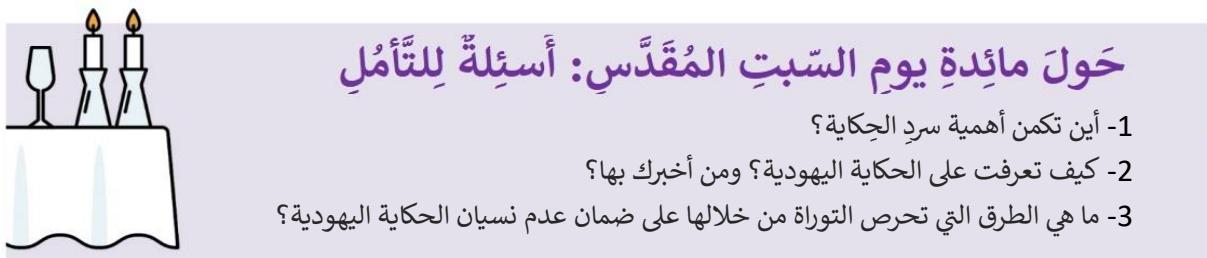
وخلال السنوات القليلة المُنصرمة انتشرت في الولايات المتحدة الأمريكية موجةٌ من الكتب التي تتساءل عما إذا كانت القصة الأمريكية تُروى وتُدرس للأجيال الناشئة، وعما إذا ظلت هذه الحكاية تُشكّل إطاراً شاملًا لجميع مواطنيها، بحيث تذكّر الأجيال اللاحقة بالحروب التي خاضتها الولايات المتحدة حتى تكون "ولادة جديدة للحرية" على حد تعبير الرئيس الأمريكي أبراهام لنكولن، وهل لا زالت الحريات بحاجة للمزيد من الجهد للحفاظ عليها.³

وإن القارئ لتلك الكتب يامكانه أن يلاحظ بوضوح حجم المأساة التي يستشعرها مؤلفو هذه الكتب، والذين أكدوا على الفكرة ذاتها تقريباً بالرغم من أنهم قدموه من خلفيات مُتعددة من مختلف الأطياف السياسية: إن نسيت حكاياتك فستفقد هويتك. وبالتالي يوجد شيءٌ مشابه لمرض الخرف (الزهاي默) على المستوى القومي، وهويناً تعمد على ما نتذكره، وفي حالة الغرب المعاصر فإن الفشل في خلق ذاكرة جماعية يُشكّل تهديداً خطيراً على مستقبل الحريات هناك.

لقد روى اليهود حكاية هويتهم بمنتهى الإخلاصٍ لمدة أطول من أي شعب آخر روى حكايته على وجه الأرض، وهذا ما يجعل الهوية اليهودية ثرية بمحتوها وصلبة بطبعتها. وفي هذا الزمن الذي تطورت فيه ذاكرة الحواسيب والهواتف الذكية بهذه السرعة من الكيلوبait إلى الميغابait والجيجا بايت، وأصبحت فيه الذاكرة البشرية قصيرة جداً، فإن هنالك رسالة يهودية هامة: لا يمكننا أن نُفّوض مهمّة ذاكرتنا إلى الآلات، بل يجب علينا أن نُحدّث ذاكرتنا باستمرار حتى نعلمها ونُمرّرها إلى الجيل القادم. وفي هذا السياق يقول نستون تشيرشل: "كلما ازدادَ بُعدُ نظرك في رؤية الماضي، كلما ازدادَ بُعدُ نظرك في رؤية القادِم".⁴ أو بعبارة أخرى مختلفة قليلاً: من يُحدّثونَ أبناءَهم عن حكاية الماضي، هم الذين يبدؤون فعلاً في بناءِ المستقبِل لأبنائهم.

*ملاحظة توضيحية من المترجم: **التناخ** هي كلمة تختصر الحروف الثلاثة الأولى من كلمات "توراة، نهيم، كتوفيم" (أي التوراة والأدباء والكتابات)، ويُقصد بكلمة تناخ الكتاب اليهودي المقدس الذي يضمّ أسفار التوراة الخمسة (سفر التكوين وسفر الخروج وسفر اللاويين وسفر العدد وسفر التثنية)، بالإضافة إلى أسفار الأنبياء (وهي ثمانية أسفار: سفر يوشع، وسفر القضاة وسفر صموئيل الأول والثاني وسفر الملوك الأول والثاني وسفر إشعيا وسفر حزقيال، وسفر الأنبياء عشر الأوامر، ويضاف لها أسفار الكتابات، والتي تضمّ الهاغيوجرافيا، أي كتب السيرة الخاصة بالكهنة وكبار الحاخامتات والشخصيات العظيمة في الديانة اليهودية، والتي تضمّ أحد عشر كتاباً، وهي سفر المزامير، وسفر الأمثال، وسفر أيوب، وسفر روث (راعون)، وسفر نشيد الإنعام، وسفر الجامعة، وسفر مرأى إرميا، وسفر أستير، وسفر دانيال، وسفر عزرا ونحريا، والجزء الأخير من التناخ يضمّ أسفار تدوين التاريخ. وبالتالي يضم التناخ بين ثانية أربعة وعشرين سفراً (كتاباً).

-
1. The classic works on group memory and identity are Maurice Halbwachs, *On Collective Memory* (Chicago: University of Chicago Press, 1992), and Jacques le Goff, *History and Memory* (New York: Columbia University Press, 1992).
 2. Yosef Hayim Yerushalmi, *Zakhor: Jewish History and Jewish Memory* (Seattle: University of Washington Press, 1982). See also Lionel Kochan, *The Jew and His History* (London: Macmillan, 1977).
 3. Among the most important of these are Charles Murray, *Coming Apart* (New York: Crown, 2013); Robert Putnam, *Our Kids* (New York: Simon and Schuster, 2015); Os Guinness, *A Free People's Suicide* (Downer's Grove, Illinois: IVP, 2012); Eric Metaxas, *If You Can Keep It* (New York: Viking, 2016); and Yuval Levin, *The Fractured Republic* (New York: Basic Books, 2016).
 4. Chris Wrigley, *Winston Churchill: A Biographical Companion* (Santa Barbara, Calif.: ABC-Clio, LLC, 2002), xxiv.
-



- These questions come from this week's Family Edition to Rabbi Sacks' Covenant & Conversation. For an interactive, multi-generational study, check out the full <https://www.rabbisacks.org/covenant-conversation-family-edition/ki-tavo/we-are-what-we-remember/>

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*
 Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University*



الذّاكرةُ هيُ الْهُوَيَةُ

[RABBISACKS.ORG](https://www.rabbisacks.org)